نكبة البرامكة

قراءة في الأسباب

*د- وفاء صارم **د- شيرين حمودي ***- رشا عمران

الملخص

ساهم الفرس بشكل كبير في تأسيس الدولة العباسية والقضاء على الأمويين ولذلك تنوعت فيما بعد سياسة العباسيين تجاه هذه العناصر الفارسية فكانت تقوم على المشاركة والموازنة ضمن إشراف الدولة العباسية وطاعة الخلفاء والكبت والقمع في حال الخروج عن طاعة الخلافة والخلفاء في أوقات أخرى وكان ذلك ما اتبعه العباسيون مع البرامكة ففي البداية تم تقريبهم من الخلفاء العباسيين الذين اعتمدوا عليهم بشكل كبير في تسيير أمور الخلافة لكنهم مالبثوا أن أطاحوا بهم وقام الرشيد بنكبتهم بعد أن شعر بخطرهم وسيطرتهم السياسية والمالية والنفسية على الخلافة والخليفة.

كلمات مفتاحية : البرامكة، الفرس، العباسية .

الدكتور المشرف : وفاء صارم [1] **لدكتور المشارك : شيرين حمودي[2]**

[1] الدكتور المشرف: وفاء صارم أستاذ مساعد في قسم التاريخ اختصاص عرب وإسلام ، كلية الآداب ، جامعة تشرين .

[2] الدكتور المساعد: شيرين حمودي أستاذ مساعد في قسم التاريخ اختصاص عرب وإسلام ، كلية الآداب ، جامعة تشرين .

The Nakba of Baramkeh - A reading of the causes

*d- Wafa Sarim **d- Sherine Hamoudi ***- Rasha Omran

Summary:

The Persians contributed greatly to the establishment of the Abbasid state and the elimination of the Umayyads. Therefore, the policy of the Abbasids towards these Persian elements diversified later, and it was based on participation The balance is within the supervision of the Abbasid state and obedience to the caliphs, and repression and repression in the event of deviation from obedience to the caliphate and the caliphs at other times and this was what the Abbasids followed with the Baramkeh. After he felt their danger and their political, financial and psychological control over the caliphate and the caliphate.

Permanent Keywords: Al-Baramkeh, Al-Faras, Al-Abbasiya

supervising doctor: Wafa Sarim [1]

Associate Doctor: Sherine Hammoudi[2]

1- Supervising Doctor: Wafaa Sarem Assistant professor .Department of History College of Literature Tishreen University

2- Associate Doctor: Shireen Hammoudi Assistant professor .Department of History College of Literature Tishreen University .

1- مقدمة:

لا تزال قضية البرامكة قضية شائكة على الرغم من الكتب الكثيرة التي تعرضت لها قديما وبرغم البحوث التي تناولتها حديثا ،وكذلك يلاحظ تضارب الآراء في أسباب نكبتهم ومدى أثرهم على الدولة العباسية سواء كان إيجاباً أم سلباً، ومهما كان المرء متعصباً للعرب فهو لا يستطيع إنكار الدور الحضاري الذي أداه البرامكة على الصعيدين السياسي والعسكري في دعم الخلافة العباسية وازدهارها وذلك من خلال الحروب التي شاركوا بها أو من خلال حنكتهم السياسية ورأيهم السياسي السديد الذي تمتعوا به والذي كان له دور في تثبيت مركزهم وقوتهم لدى العباسيين ، كذلك كان لهم دور كبير على الصعيد الأدبي أو الاجتماعي من خلال دعمهم للشعراء وإقامتهم المباني الضخمة وإشرافهم على ترجمة الكتب واستقدامهم الاطباء.

هدف البحث: تسليط الضوء على البرامكة أصلهم ودورهم السياسي في الخلافة العباسية وذلك للوصول إلى نكبتهم والاطلاع على الأسباب التي أدت إلى ذلك.

أهمية البحث: تأتي من خلال معرفة المكانة التي حظي بها البرامكة في الخلافة العباسية ودورهم في عدد من الأحداث السياسية التي يبدو أنها كانت تهدف لتحقيق مصالحهم السياسية والمالية فقط.

إشكالية البحث: تأتي من خلال السؤال هل كان دور البرامكة مؤقتاً في الخلافة العباسية وانتهى بانتهاء مصلحة الخلفاء وشعورهم بقدرتهم على ضبط الأمور؟ وهل شعر الرشيد بالندم من خلال قيامه بنكبتهم؟

منهج البحث: المنهج المتبع في البحث فقد اعتمد على مصادر متنوعة وكان منهج الاستقراء والتحليل والنقد والاستنتاج والمقارنة هو المنهج المتبع وذلك في محاولةٍ للوصول إلى الوقائع والأحداث الأقرب للحقيقة .

2- نسب البرامكة وإسلامهم:

ينتسب البرامكة إلى خالد بن برمك بن جاماس وكانوا من أشراف الفرس من المجوس ، واشتهر منهم برمك بخدمة النوبهار[1] في مدينة بلخ[2] حيث يقوم بخدمة النار المقدسة وانتسب البرامكة إلى هذا الشخص برمك ،بنى النوبهار منوشهر بمدينة بلخ في خراسان على اسم القمر ،وكان من يتولى سدانته تعظمه الملوك وتنقاد إلى أمره وترجع إلى حكمه وتحمل إليه الأموال ، وكان يسمى من يتولى سدانته البرمك أي انها كانت سمة عامة لكل من يتولى سدانته ومن أجل ذلك سمي البرامكة بهذا الاسم لأن خالد بن برمك كان من المولودين على خدمة هذا البيت أي أن برمك لقب وليس اسم لشخص معين[3].

وصف ياقوت الحموي البرامكة بأنهم أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم عبادة الأوثان فوصفت لهم مكة وحال الكعبة بها وماكانت قريش ومن والاها من العرب يأتون إليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الأصنام وزينوه بالديباج ،كان الفرس يقدسون النوبهار هذا المكان المقدس بالنسبة لهم وتحج إليه وتهدي له وتلبس انواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانوا

[1] النوبهار : هو البهار الجديد لأن نو الجديد ، وكانت سنة عبدته إذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا أو طاقا شريفا كللوه بالريحان وتوخوا لذلك أول ريحان يطلع في ذلك الوقت فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار فسمي نوبهار بذلك ، وقد اتخذ البرامكة في بلخ بيت النوبهار هذا مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الأصنام وزينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ؛ فرج(هولو جودت): البرامكة – سلبياتهم وإيجابياتهم، دار الفكر اللبناني، بيروت،ط1 ، 1990م ، ص10.

[2] بلخ: مدينة مشهورة في خراسان ، قيل بناها هراسف الملك والبعض يذكر الإسكندر، وافتتحها الأحنف بن قيس في أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ الحموي(شهاب الدين ياقوت بن عبدالله ت 623هـ/ 1226م): معجم البلدان ،دار صادر، بيروت ، 1977م، ج1، ص479-480.

[3] المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين ت 346هـ / 957م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ج2، ص238؛ الدوري(عبدالعزيز): العصر العباسي الأول –دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط3، 1997م، ص122.

يسمون السادن الأكبر برمك لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه برمكة ولذلك كان من ولي منهم السدانة برمكا وكانت ملوك كابل[1] والهند والصين وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج إلى هذا البيت وكانوا يسجدون للصنم الأكبر ويقبلون يد برمك الذي بقي يتولى إدارة النوبهار حتى كان فتح خراسان على يد عثمان بن عفان[2] وانتهت السدانة إلى برمك أبي خالد بن برمك[3] .

هذا بالنسبة لأصل ونسب البرامكة وسدانتهم وعبادتهم للنار أما بالنسبة لإسلامهم فهناك تناقض في الروايات التي ذكرتها المصادر فيذكر الحموي أن السدانة انتهت إلى برمك أبي خالد البرمكي كما تمت الإشارة وبعد فتح خراسان على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه سار برمك إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه مع رهائن ثم أسلم وعند رجوعه أنكر عليه قومه ذلك وكتب إليه نيزك طرخان أحد الملوك يدعوه للرجوع لدين آبائه فأجابه برمك أنه دخل هذا الدين عن اختيار وعلم ومن غير خوف أو رهبة " ولم اكن لأرجع إلى دين بادي العوار مهتك الأستار" وهنا غضب نيزك وهاجم برمك وقتل عددا من أبنائه ولم يبق له سوى برمك أبو خالد حيث فرت أمه به إلى كشمير حيث نشأ هناك على دين آبائه ثم إن أهل بلده الأصلية أصابهم الطاعون فشعروا بالتشاؤم وتركوا دينهم ودخلوا الإسلام وكتبوا إلى برمك للعودة وتولي مكان والده النوبهار ، وبعد ذلك تزوج برمك بنت ملك الصغانيان فولدت له خالد بن برمك التذي كان له شأن كبير في الدولة العباسية[4]، لكن التناقض هنا في مارواه الحموي أنه مرة يقول أن برمك أبو خالد عاد إلى بلاده الأصلية بعد إسلام أهلها أي أن البلاد أصبحت تدين بالإسلام وبالطبع لا بد أن يعلن برمك إسلامه فور عودته للبلاد لكن لو كان الإسلام صحيحا لما تمت عودته

[1] كابل: قيل كابل من ثغور طخارستان ، ويوجد بها العود والنارجيل والزعفران واهليلج لانها متاخمة للهند ،غزاها المسلمون في أيام مروان بن الحكم، الحموي: معجم البلدان،ج4، ص426.

[2] عثمان بن عفان: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رضي الله عنه ،يكنّى أبا عبدالله ، وأبا عمرو ، وأمه أروى ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، بويع بالخلافة سنة 24هـ /645م ، وكانت وفاته 35هـ/656م في المدينة وله من العمر اثنتين وثمانين سنة ،ابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ص 48؛ أبو السرور (أبو الحسن علي بن أبي عبدالله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن الروحي د ت) : كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تح ، محمد زينهم محمد عزب ، بورسعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ت ، ص 28-29.

[3] الحموي : معجم البلدان ، ج5، ص307-308.

[4] الحموي: معجم البلدان ، ج5، ص308.

وتوليته مكان والده النوبهار وهو مكان لعبادة الاوثان، أي أن إسلام أهل المنطقة وإسلام أبو خالد برمك مشكوك به من خلال ماتم ذكره[1].

يروي الطبري قصة أخرى عن إسلام البرامكة فيقول أن قتيبة بن مسلم[2] سبى وأسر زوجة برمك ووالدة خالد عندما فتح بلاد مرو وخراسان سنة 86هـ / 705م ثم أعطى أخاه عبدالله زوجة برمك كسبية من السبايا فحملت منه ثم أعاد قتيبة الأسرى فرجعت زوجة برمك وفي بطنها ولد من عبدالله هو خالد حيث تربى في ديارهم[3] أي في النوبهار، وبالطبع هذه الرواية مشكوك في صحتها لأن سبي إمرأة برمك حصل سنة 86هـ/705م وعبدالله أعادها لزوجها في اليوم التالي فلا بد أن تكون ولادة خالد نفس السنة أو في سنة 87هـ /706م لكن غالبية المصادر تقول أن ولادته كانت سنة 709/90م هـ[4]، وهذه الرواية فيها الكثير من المبالغة في وذلك في محاولة لإعادة نسب برمك للعرب وهذا غير ممكن وخاصة من خلال الحادثة التي تم ذكرها. وأيضا هناك عدد من المؤرخين يشك في إسلام البرامكة فيقال أن برمك من المجوس ولا يعلمون إن أسلم أم لا[5].

[1] الحموي : معجم البدان ، ج5، ص308 ؛ جودت: البرامكة –سلبياتهم وإيجابياتهم ، ص11-12.

[2] قتيبة بن مسلم: هو قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصين آمر خراسان زمن عبدالملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهو الذي افتتح خراسان وسمرقند وبخارى و، كانت ولادته سنة 49هـ/ 669م وتوفي سنة 97هـ/ 716م ؛ ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد ت 681هـ/ 1282م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر ، بيروت، ج4، ص86.

[3] الطبري(محمد بن جرير ت 310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر، د . ت، ج6، ص425.

[4] فياض (عبدالله) : تاريخ البرامكة، د. د ، بغداد، 1947م، ص56؛ فرج: البرامكة –سلبياتهم وإيجابياتهم، ص15.

[5] فياض: تاريخ البرامكة، ص55؛ ويذكر حسن إبراهيم حسن أن البغدادي اتهم البرامكة بالزندقة والميل إلى المجوس ودليله على ذلك رغبتهم بتعمير المساجد ومحاولتهم إقناع الرشيد بأن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة يتبخر عليها العود فعلم الرشيد بذلك وأنهم أرادو عبادة النار في الكعبة؛ حسن (إبراهيم حسن):تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجبل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996م، ج2، ص141.

3- البرامكة في إطارهم السياسي :

عرف عن الإسلام بأنه دين التسامح وقد اتبع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم اسلوب المساواة بين جميع المسلمين على اختلاف جنسياتهم وبعد وفاته اقتدى به الخلفاء الراشدين ، ولكن في العهد الأموي تغير الوضع من خلال اتباع الأمويين سياسة تقوم على تمييز العرب عن بقية العناصر في المجتمع وأظهروا تعصبهم في ذلك فاحتقروا العديد من الموالي وفرقوهم عن أسيادهم العرب وبالطبع دفع ذلك الموالي وبقية عناصر المجتمع الغير العربية على مناصرة أي ناقم على الأمويين ولذلك ساندوا العباسيين وفي مقدمتهم الفرس الذين كان لهم دور كبير في سقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية مكانها ومن خلال قادة الفرس كأبي مسلم الخراساني[1] وغيره من القادة الفرس تمكن هؤلاء من التغلغل إلى الخلافة العباسية والسيطرة على عدد من مقاليد الأمور في الخلافة وإدارتها صحاب الدولة وحماتها واستأثروا بشؤون الخلافة[2]، وقد أوصى الخلفاء العباسيين بإكرام هؤلاء الفرس اعترافا منهم بفضلهم ومن ذلك ماقاله المنصور في وصيته لابنه المهدي" وانظر مواليك فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم ...وأوصيك بأهل خراسان خيرا فإنهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودمائهم في دولتك وان لا تخرج محبتك من قلوبهم وان تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم وتخلف

[1] أبو مسلم الخراساني: عبدالرحمن بن مسلم ، أحد كبار القادة الفرس الذين اعتمد عليهم العباسيون في تأسيس دولتهم ، استولى على نيسابور وهزم جنود مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في معركة الزاب ، كان فصيحاً بالعربية والفارسية ، ويوصف بأنّه داهية ، وقد قتله الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بعد أن شعر بخطره وكان ذلك في سنة 137هـ/753م، الزركلي (خير الدين الزركلي) : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط15، 2002م ، ج3 ، ص353 ؛ ويذكر ابن العمراني أنّ أبا مسلم لقّب بصاحب الدولة واسمه عبد الرحمن ، كان لقيطاً ربّاه رجل من أهل الكوفة ، وقد قيل له أبو مسلم الخراساني لأنه أقام كثيراً في خراسان ، وقد تسلم ولاية خراسان بعد الاعلان عن قيام الدولة العباسية ومركزها بغداد ، وقد عرف برجاحة عقلة وحسن تدبيره وكرمه وحلمه واتقانه اللغة العربية ، ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت580هـ --1185م) : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تح ، قاسم السامرائي ،القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ط1 ، 1999م ص67 ؛الثعالبي (عبد العزيز) : سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية 132هـ/750م ، تح ، حمادي الساحلي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1995م ، ص57.

[2] قدورة(زاهية): الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1972م، ص24.

من مات منهم في أهله وولده"[1]. استخدم الخلفاء العباسيين رجال الفرس في بلاطهم وقدموهم في مناصب الدولة فمنهم الوزراء والكتاب ، وترقى الفرس وحصلوا على أعلى المناصب عند العباسيين أيام البرامكة وتولوا الوزارة وأول من اتصل بالعباسيين من البرامكة كان خالد بن برمك وهنا بدأت الأسرة البرمكية بالظهور على مسرح الأحداث السياسية العباسيةوكان منهم .

1- خالد بن برمك:

كان خالد بن برمك من رجال الدولة العباسية لمع اسمه عندما أظهر براعة وبسالة حربية في قيادته لبعض الجيوش الخراسانية تحت لواء أبي مسلم الخراساني، نظم الخراج وتسلم الغنائم وقسمها في جيش قحطبة بن شبيب قائد أبو مسلم الخراساني بشكل عادل وأرسل مع المسيب بن زهير إلى دير قنى لإدارة هذا الإقليم ثم سلمه الخليفة أبو العباس السفاح ديوان الخراج والجند بسبب ثقته الكبيرة به وتمكن خالد من تنظيم الدواوين وجعلها في دفاتر مكتوبة، فأعجب به السفاح وقربه منه أكثر[2].

بعد أن تم مقتل أبو سلمة الخلال الملقب بوزير آل محمد استوزر السفاح خالد بن برمك والذي كان أول وزير من البرامكة ويذكر ابن طباطبا إن كل من استوزر بعد أبي سلمة كان يتجنب أن يسمى وزيرا بسبب الخوف مما جرى لأبي سلمة وأن يلقوا نفس المصير ، فكان خالد بن برمك يعمل عمل الوزراء ولا يسمى وزيرا[3].استمرت وزارة خالد البرمكي في

[1] ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت 630هـ / 1232م) : الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ج5، ص216؛عطوان(حسين): الدعوة العباسية –مبادئ وأساليب ،دار الجبل ، بيروت،د ت، ص241.

[2] الجهشياري(أبو عبدالله محمد بن عبدوس ت 331هـ/ 943م): الوزراء والكتاب ،تح: مصطفى السقا' عبدالحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة، 1938م، ص87-89؛ محمود(حسن أحمد)، الشريف(أحمد إبراهيم): العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، د ت ، ص105.

[3] ابن طباطبا (محمد بن علي الملقب ابن الطقطقي): الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر ، بيروت، د ت ، ص156.

عهد الخليفة المنصور الذي أرسله لمحاربة الاصبهذ وتمكن من الانتصار عليه واستولى على كنوز الأكاسرة[1]، قام المنصور بتولية خالد البرمكي عدة ولايات مثل بلاد فارس والتي لم يطل عهده بها بسبب الوشاية به عند الخليفة المنصور التي عزله عنها ، ولكنه ما لبثت أن عادت الثقة بخالد البرمكي وتم توليته الري وطبرستان فبقي على ولاية طبرستان سبع سنوات حيث تمكن من إخماد ثورة فيها وبسبب ذلك قام أهل طبرستان بنقش صورة خالد وسلاحه على دروعهم [2]. أيضا ولاه الخليفة المنصور الموصل سنة 148هـ/ 766م بعد أن أشار عليه المسيب بن زهير بذلك وهناك أحسن للناس وحارب المفسدين وانتصر عليهم[3]، أيضا كان لخالد البرمكي دور كبير في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ونقل البيعة للمهدي ابن المنصور ، فعندما عجز المنصور عن تنحية عيسى بن موسى 147هـ / 768م استعان بخالد البرمكي فذهب إليه مع ثلاثين رجلا من كبار الشيعة وأعطوه رسالة من الخليفة المنصور فقال "ماكنت لأخلع نفسي وقد جعل الله عز وجل الأمر ولي"[4] ويبدو أن الرسالة كانت تحمل التهديد من الخليفة المنصور ولا سيما مع وجود هذه الأعداد من الرجال برفقة خالد البرمكي والذين كانوا رسالة تهديد بشكل واضح وهنا اضطر عيسى بن موسى لخلع نفسه وتم أخذ البيعة للخليفة المهدي .في سنة 163هـ / 780م وعلى الرغم من تقدم خالد البرمكي في السن إلا أنه أبلى بلاء حسناً في محاربة الروم البيزنطيين والاستيلاء على "سمالو" وهو أحد حصون البيزنطيين وذلك بعد أن تم إرساله من قبل الخليفة المهدي على رأس جيشٍ كبير برفقة هارون الرشيد لغزو الروم وكان برفقتهم ابنا خالد البرمكي الذي يبدو أن والدهم أراد زجهم في المعترك الحربي والسياسي إلى جانب القادة والخلفاء العباسيين وكان هارون الرشيد يشاوره في كافة التفاصيل ويعود إليه للأخذ برأيه مما يدل على مكانته الكبيرة لدى

[1] ابن الفقيه(أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني): كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ/ ، ص214.
[2] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 136.
[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص186.
[4] ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص172.

الخلافة العباسية وقد استمر الوضع على ذلك وخالد البرمكي يحافظ على مكانته حتى كانت وفاته أواخر سنة 163هـ /780م [1].

2- يحيى بن خالد:

ظهر يحيى بن برمك على مسرح الأحداث السياسية في الدولة العباسية كشخصية بارزة كان لها دوراً كبيراً في الأحداث السياسية فقد رافق الرشيد في حملة سمالو مع أبيه خالد البرمكي وعرف عن يحيى البرمكي حسب وصف ابن طباطبا بأنه كان صائب الأراء ،حسن التدبير ،ضابطاً لما تحت يديه ، قويا على الأمور[2]، وبسبب ذلك قربه الخليفة المهدي منه وأصبحت علاقتهم وثيقة ودليل ذلك أنه حين ولد الفضل بن يحيى سنة148هـ / 765م وهي نفس الفترة التي ولد بها هارون الرشيد قامت الخيزران بإرضاعهم فكان الفضل بن يحيى أخا لهارون الرشيد من الرضاع وبذلك زادت العلاقات بين الجانبين[3].في سنة 161هـ /778م عهد الخليفة المهدي ليحيى بن فضل بتربية ابنه هارون الرشيد وتأديبه وذلك لثقته الكبيرة به وعندما قام الخليفة المهدي بتعيين هارون الرشيد على المغرب وأذربيجان وأرمينية جعل يحيى بن خالد البرمكي على ديوان رسائله[4].

بعد وفام المهدي وتسلم الخليفة الهادي الخلافة بقي يحيى البرمكي على مابيده من الوظائف لكن مع محاولة الخليفة الهادي خلع الرشيد من ولاية العهد ونقلها لابنه جعفر وقف يحيى إلى جانب الرشيد من خلال تشجيعه على عدم الاستسلام والتنازل عن ولاية

[1] القحطان(محمد)، طاهر الدين(محمد): هارون الرشيد الخليفة المظلوم، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001م، ص37.
[2] ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص198.
[3] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص230.
[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص245؛ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج5، ص473؛ أيوب: التاريخ العباسي –السياسي والحضاري، ص63.

العهد[1].عندما علم الهادي بما يفعله يحيى البرمكي قام بحبسه وأراد قتله[2] لكن الأقدار شاءت غير ذلك حيث توفي الخليفة الهادي قبل تنفيذ ذلك ، ويحيط الغموض بوفاة الهادي فالبعض يعتقد أن الخيزران قتلته بالاتفاق مع يحيى لأنه كانت لديهما الأسباب والدوافع لذلك حيث أن الهادي جرد الخيزران من سلطتها السياسية التي كانت تمتع بها في عهده وأيضا بسبب خوفها على الرشيد من القتل ولكن هذا أمر مشكوك به [3]،وأيضا يورد البعض أن مايدل على أن الخيزران لها يد في مقتل الهادي عدم الاهتمام بالخبر وكأنها تعلم مسبقا بالأمر فالجهشياري يقول أنها بعثت فور موت الهادي برسالة ليحيى تقول فيها إن الرجل قد مات وهذا السلوك بعيد عن أم تنعي ابنها[4]. بعد وفاة الخليفة الهادي تولى الرشيد الخلافة وكان يحيى أول من بشره بها وسلمه الخاتم وبالطبع لم ينسى الخليفة هارون الرشيد جهود يحيى التي أوصلته للخلافة فاعترف بفضله وكان يعظمه وقلده الوزارة قائلا له" يا أبت أنت أجلستني في هذا المجلس بركتك ويمينك وحسن تدبيرك وقد قلدتك الأمر ودفع خاتمه إليه "[5]. وبتولية يحيى الوزارة توصل عدد من أفراد أسرته إلى أسمى الدرجات حتى قيل إنها فترة السلطة البرمكية. ففي سنة 178هـ/ 794م فوض الرشيد ليحيى بن خالد البرمكي جميع أموره فكانت كافة الامور بيده يعزل ويعين ويجمع ويفرق كما يشاء[6]، وبذلك أصبح الوزير يحيى الحاكم الفعلي الذي يتمتع بصلاحيات مطلقة فقام بإدارة أمور البلاد وسد الثغور وجنى الأموال وعظم بذلك شأنه وعمل برأيه[7].على الرغم من المنزلة العظيمة التي وصل إليها يحيى البرمكي لكن لا

[1] فرج: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ص25.
[2] أراد الهادي قتل يحيى وقال" أفسدت أخي والله لأقتلنك " اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ت292هـ /905م) : تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن، 1883م، ج2، ص490.
[3] بيطار(أمينة): تاريخ العصر العباسي ، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2006-2007م، ص100.
[4] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 175.
[5] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص280؛ أيوب: التاريخ العباسي-السياسي والحضاري، ص64.
[6] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص265.
[7] ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص198.

يمكن الجزم بأنه أشرف بنفسه على كافة شؤون الدولة باعتباره وزيرا لأن الرشيد خلال سنوات حكمه الأولى ترك ممارسة السلطة لأمه ولوصيه وكان على يحيى أن يعرض شؤون الرعية على الخيزران وينفذ أوامرها أي أن يحيى البرمكي كان تحت إشراف الخيزران ولذلك النصوص والمراجع التي تشير إلى أن سلطة يحيى البرمكي موكلة بتفويض واضح من الخليفة تعوزها الدقة[1]، ولكن يعود الجهشياري ويشير إلى أنه كانت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج تؤرخ باسم يحيى بن خالد ولم تكن تنفذ قبلا إلا عن الخليفة[2] وقد استمرت مكانة يحيى البرمكي كبيرة في خلافة الرشيد حتى كانت وفاته .

3- أبناء يحيى بن خالد البرمكي:

مكث يحيى في الحكم مدة سبعة عشر عاماً وقد ساعده في إدارة شؤون الخلافة أبناؤه الأربعة الفضل وجعفر ومحمد وموسى[3]، وقد وصفهم إبراهيم الموصلي[4] فقال " أما الفضل فيرضيك بفعله ، وأما جعفر فيرضيك بقوله ، وأما محمد فيفعل بحسب مايجد ، وأما موسى فيفعل مالايجد"[5]. وقد تبوء أبناء يحيى الأربعة مناصب عظيمة في الخلافة العباسية وكان الأشهر جعفر والفضل فقد ولى الرشيد جعفر المغرب كله من الأنبار إلى إفريقيا سنة 176هـ/ 792م، وقلد الفضل بن يحيى المشرق كله من النهروان إلى أقصى

[1] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص177؛ فرج: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم ، ص32.
[2] الجهشياري : الوزراء والكتاب، ص178.
[3] يذكر الجهشياري أن ليحيى ولدا يدعى إبراهيم ويسمى دينار بني برمك لجماله وحسنه وتوفي وهو في سن التاسعة عشر ؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص179.
[4] إبراهيم الموصلي : أبو إسحاق بن ماهان ويقال له ميمون بن بهمن بن نسك التميمي ، من بيت كبير من العجم ، أول خليفة سمعه المهدي ولم يكن في زمانه مثله في الغناء واختراع الألحان ، ولد في الكوفة سنة 125هـ/ 743م وتوفي في بغداد سنة 188هـ/ 804م ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج1، ص42.
[5] الأتليدي(محمد دياب ت 1100هـ/ 1688م): إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، دار صادر ، بيروت، 1990م،ص261.

بلاد الترك[1] ، أيضا لقب الوزير الذي كان يطلق على يحيى كان يطلق على الفضل بن يحيى وجعفر بن يحيى[2].

في سنة 177هـ/ 793م تم تسمية الفضل والياً على خراسان من قبل هارون الرشيد وهناك بنى المساجد وزاد الجند والقواد وجند جيشاً من العجم أطلق عليه اسم العباسية وبلغ عدده خمسمائة ألف رجل وأرسل عشرين ألف منهم لبغداد وظل البقية في خراسان[3]، وكان للفضل دورٌ كبيرٌ في أخذ البيعة لمحمد بن الرشيد فعندما تولى خراسان فرق الأموال على سكانها وأعطى الجند الأعطيات ثم أظهر البيعة لمحمد بن الرشيد وبايعه الناس وسماه الأمين[4] لكن في سنة 183هـ/ 799م غضب الحليفة الرشيد من الفضل بسبب أعماله ويرجع بعض المؤرخين السبب أنه عند سجن الإمام موسى الكاظم[5] عليه السلام مال الفضل للترفيه عنه فغضب الرشيد وصرف الفضل عن الأعمال والمناصب التي يتقلدها وبسبب توسط أم الفضل ومرضعة هارون الرشيد رضي عن الفضل لكنه لم يعد له شيئا من أعماله[6]وبقي فقط كوصي على ولي العهد محمد الأمين. أما بالنسبة لجعفر بن يحيى البرمكي والذي كان يميل إليه هارون الرشيد بشكل كبير ، كانت له مكانة كبيرة لدى الخليفة لم يشاركه بها أحد [7]، وبسبب أهمية مركز جعفر فقد نال لقب سلطان ، حتى أن الرشيد أمر بكتابة اسم جعفر على الدراهم والدنانير بمدينة السلام

[1] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 190.

[2] ابن المعتز(عبدالله بن المعتصم بن هارون الرشيد ت 296هـ/ 909م): طبقات الشعراء ، تح: عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، 1956م، ص214-215؛ محمود، أحمد : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص105.

[3] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص275؛ عطوان: الدعوة العباسية- مبادئ وأساليب، ص242.

[4] الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص193.

[5] موسى الكاظم: هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ،قتل في دار السندي بن شاهك والي شرطة بغداد في الكوفة زمن الخليفة هارون الرشيد وكان ذلك سنة 183هـ/ 799م وله من العمر تسع وأربعون سنة؛ الخصيبي (أبو عبدالله الحسين بن حمدان ت 334هـ/ 945م): الهداية الكبرى، دار البلاغ ، بيروت، 1993م، ص263-264.

[6] الجهشياري : الوزراء والكتاب، ص227.

[7] الخطيب البغدادي(أبي بكر أحمد بن علي ت 463هـ/ 1070م): تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى 463هـ المعروف بتاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1967م، ج7، ص152.

والمحمدية[1]، ازدادت مكانة جعفر لدى الخليفة الرشيد مع نجاحه في تنفيذ كافة المهام التي أوكلت له ولذلك في سنة 182هـ/ 798م حصل جعفر على الوصاية على عبدالله المأمون بعد أن أخذ له البيعة كولي للعهد بعد أخيه الأمين وبالتالي أصبح الفضل وجعفر وصيين على وليي العهد الأمين والمأمون ولكن لم يدم لهم الأمر فقد توقعا أن تبقى السلطة لآل برمك خلال عهد الامين والمأمون لكن الرشيد لم يسمح بذلك حيث نكبهم نكبة عظيمة[2].

4- نكبة البرامكة قراءة في الأسباب:

كان لنكبة البرامكة أسباب عديدة لكن هناك سبب يوجد خلاف حول صحته ويشك بأمره ، فقد اورد الباحثون أن من أسباب نكبة البرامكة حادثة العباسة أخت الخليفة هارون الرشيد الذي غضب من العلاقة بين جعفر البرمكي وأخته العباسة، لكن عدد من المصادر تنفي ذلك ،فابن خلدون ينفي تلك القصة ويجعلها من الأساطير ويقول أن مركز العباسة الديني والاجتماعي لا يسمح لها بذلك ولا سيما مع مولى من مواليها[3].ومما مواليها[3].ومما ينفي احتمال نكبة البرامكة بسبب العباسة كون الرشيد قد فكر بها قبل ستة ستة سنوات من وقوعها فقال ابن عبد ربه عن أحد الهاشميين أن الرشيد كلمه في أمر البرامكة واستبدادهم بالملك وبأموال الدولة وكان قتلهم بعد ستة سنين من ذلك اليوم[4].ويذكر اليعقوبي أن الرشيد قال لإسماعيل بن صبيح " إني أريد أن أفشي لك سرا واله لئن سمعته من أحد الناس لأضربن عنقك ...إني أريد أن أوقع بآل برمك إيقاعا ما أوقعته بأحد وأجعلهم أحدوثة ونكالة إلى آخر الأبد ثم حال الحول وحال حول ثان ثم

[1] فياض: تاريخ البرامكة، ص82-83.
[2] فرج: البرامكة سلبياتهم وإيجابياتهم، ص143.
[3] ابن خلدون(عبدالرحمن المغربي ت 808هـ/ 1405م):مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دز ت، ص15.
[4] الدوري: العصر العباسي الأول، ص129.

حال ثالث فما كان رأس الحول الرابع حتى قتلهم[1]، ولذلك الرواية التي تحدثت عن غضب الرشيد من العلاقة بين جعفر والعباسة وذهب يبحث عن ابن العباسة في مكة وعند رجوعه أمر بنكبة البرامكة هي رواية ضعيفة حيث تختلف المصادر بعدد اولاد العباسة من جعفر حيث يقال أن الرشيد زوج جعفر من أخته العباسة لأنه لم يستطع مفارقتها فكيف يجوز أن يخفي عليه حملها تسعة أشهر في حال وجود صبي واحد وبعد ذلك تم إفشاء الأمر ولذلك تبدو الرواية غير معقولة[2] ، وبالتالي يتم استبعاد هذه الرواية ولا يتم إدخالها ضمن الأسباب الأساسية لنكبة البرامكة، ولذلك كان من أهم أسباب نكبتهم :

1- السبب السياسي:

يذكر بعض المؤرخين أن سبب نكبة البرامكة إطلاقهم يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي العلوي حيث يقول الطبري " أن الرشيد قتل جعفر بغير سبب يحيى بن عبدالله فلا تصدقه" حيث أن جعفر اطلق سراح يحيى من السجن دون إذن الرشيد فوشى به الفضل بن الربيع[3] فأغضب ذلك الرشيد وقال" قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة غن لم أقتلك (ويعني جعفر)"[4]، ومما تم ذكره يدل على تدخل البرامكة الكبير في شؤون الخلافة العباسية فأصبح جعفر صاحب القرار وإليه ترجع كافة الأمور فكان لا بد

[1] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج3، ص152؛ أيوب: التاريخ العباسي –السياسي والحضاري، ص66.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص227 ؛ فياض: تاريخ البرامكة، ص98؛ حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص140.

[3] الفضل بن الربيع: الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبدالله بن أبي فروة ، أبو العباس ، جده كيسان مولى عثمان بن عفان ، كان الفضل مقرباً من الرشيد وساهم في زوال البرامكة بسبب كرهه لهم وشعوره بمنافستهم له عند الرشيد لذلك استمر في تحريض الرشيد ضدهم حتى كانت نكبتهم وزوالهم ، وتسلم الوزارة في عهد الرشيد وبقي فيها في عهد الأمين ، حرض الأمين في حربه ضد المأمون وخلعه من ولاية العهد وجعلها لابنه موسى من بعده وعندما دخل المأمون إلى بغداد اختفى حتى تمّ اعطاؤه الأمان كانت وفاته سنة 208هـ /823م وكان عمره وقتها 68سنة ، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ /1505م) : تاريخ الخلفاء ، إشراف ، محمد غسان نصوح عزقول الحسيني ، قطر ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط2 ، 2013م ، ص473 .

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 327-328 ؛ الطبري : تاريخ الطبري، ج8، ص289.

من وضع حد له . يشير ابن خلدون أن البرامكة غلبوا الرشيد على أمره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه ، ويقال أنه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً بين صاحب قلم وسيف[1]، يبدو أن الرشيد شعر بالقلق من ازدياد نفوذ البرامكة وتطاولهم على الملك واستبدادهم بكثير من الأمور لذلك قام بوضع حد لهم فنكب جعفر صاحب النفوذ الكبير وسائر أفراد أسرته لأنهم شركاءه في هذه المكيدة السياسية، فيذكر ابن الأثير أن الرشيد نكب موسى بن يحيى بن خالد بعد أن وصله الخبر من علي بن عيسى بن ماهان قائد قوات الرشيد في خراسان بأن موسى البرمكي يحرض أهل خراسان على الخليفة ويحاول إخراجهم عن طاعته ولذلك قام الرشيد بحبسه ولكن بعد ذلك قام بإطلاق سراحه ولكن كان ذلك بداية لوضع حد لهم [2].

2- السبب المالي:

سيطر البرامكة على أموال الدولة ولم يكونوا يترددون في استخدامها لغاياتهم الخاصة وإسرافهم في دفع الأموال جعل الناس ينجذبون إليهم ويفضلون خدمتهم على خدمة الرشيد[3]، ويذكر الجهشياري أن البرامكة فارقوا الرشيد على شيء يطلقونه له من المال للحوادث سوى نفقاته وما يحتاج إليه هو وعياله وإنه قد طلب من جعفر عشرة آلاف درهم فاعتذر إليه ، وبالطبع كان هذا المبلغ زهيد إذا تمت مقارنته بواردات الدولة في عهد الرشيد والتي قدرت بخمسمائة ألف ألف وثلاثين ألف ألف وثلاثمائة ألف واثنا عشر ألف درهم وكان البرامكة ينفقون هذه المال على احتياجاتهم الخاصة ويمنعونه عن الرشيد مما أثار غضبه عند علمه بذلك[4].

[1] ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون، ص16.
[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص328.
[3] فياض: تاريخ البرامكة، ص105.
[4] الجهشياري: الوزراء والكتاب ، ص234-250-288.

يبدو أن الأموال كانت قد تجمعت بيد البرامكة فقد قام جعفر البرمكي ببناء دار دفع عليه عشرين ألف ألف درهم وعندما علم الرشيد بذلك قال " هذه غرامته على دار فما ظنك بنفقاته وصلاته وغير ذلك "[1]،حاز البرامكة على الكثير من الضياع الغنية وكان الرشيد إذا سافر لا يمر بضيعة ولا بستان إلا قيل لجعفر[2]،أيضا مما يدل على الاستبداد المالي للبرامكة حجم الهبات التي كانوا يقدمونها لصنائعهم من أموال الدولة، فيذكر الجهشياري أن الفضل بن يحيى وهب لصاحب شرطته أربعة مليون درهم ، وكان قد حصل وهو في كابل على سبعة مليون درهم[3].

3-السبب العنصري:

كان البرامكة ينتسبون إلى الفرس وكانوا يتعصبون للفارسية فعندما أراد الرشيد هدم إيوان كسرى أشار عليه يحيى بألا يفعل ذلك فقال الرشيد له هذا من ميلك إلى المجوسية، وأيضا ظهر تعصب البرامكة للفرس من خلال قيام يحيى بن خالد بمساعدة سهل والد الفضل وزير المأمون الفارسي على عاصم بن صبيح ، وقام بإعادة ضيعته له وكان له دور كبير في تقريب الفضل بن سهل الفارسي من الخليفة المأمون[4]، وهذا يدل على سعي يحيى البرمكي لوجود العناصر الفارسية بكثرة في البلاط العباسي واستحواذهم على كافة المناصب الرئيسية في البلاد وذلك على حساب القوى العربية الأخرى مما أدى إلى كره الرشيد لهم وأحس بخطرهم الفارسي، كما أسس البرامكة حزب فارسي في الدولة فقابلهم العرب بمثل ذلك وأسسوا حزباً عربياً يحول دون استبداد البرامكة ويخفف قوة العنصر الفارسي ترأسته زبيدة زوجة هارون الرشيد[5]،كما حاول البرامكة إبعاد القواد

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 328؛ محمود ، أحمد : العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص106؛ حسن: تاريخ الإسلام ، ج2، ص141.
[2] الدوري: العصر العباسي الأول، ص132.
[3] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص192.
[4] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 229-231-232؛ حسن: تاريخ الإسلام، ج2، ص 142.
[5] فياض: تاريخ البرامكة، ص110.

العرب عن مناصب الدولة فيذكر ابن الأثير حادثة تدل على ذلك حيث قام هارون الرشيد بتعيين واليه على اليمن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني العربي والذي كانت له مكانة كبيرة عند رشيد وتقديرا لذلك تم إرساله لولاية أرمينية وأذربيجان ، أيضا أرسل الرشيد يزيد لقتال الوليد بن طريف التغلبي[1] سنة 178هـ/ 794م واستعمل يزيد اسلوب المخاتلة معه فقام البرامكة بالإيحاء للرشيد بأن يزيد يتحاشى قتاله لما بينهم من صلة الرحم فغضب عليه الرشيد[2] وبذلك حقق البرامكة غايتهم بإقصاء هذا القائد العربي، وبالطبع تكررت هذه الحوادث مع عدة قادة عرب مما أغضب هؤلاء القادة أيضا والذين شعروا بخطر البرامكة واستمر الوضع على ذلك حتى تنبه الرشيد لهذه الفتن وقام بنكبتهم.

4-الوشاية:

لعبت الوشاية دوراً كبيراً في نكبة البرامكة فكان أعدائهم يذكرون للرشيد سيئاتهم، فعندما وجه الرشيد يقطين بن موسى لإفريقيا طلب منه أن يقص عليه قصة حدثه بها إبراهيم الإمام ومما قاله " يا أمير المؤمنين إن إبراهيم الإمام حدثني أن الخامس من خلفاء بني العباس يغدر به كتابه فإن لم يغدر به ويقتلهم قتلوه" ومات يقطين سنة 186هـ/ 802م وأوقع الرشيد بالبرامكة سنة 187هـ/ 803م[3].والبعض يورد أن تدخل زوجة الرشيد زبيدة والفضل بن الربيع الذي عرف بكرهه لهم فبث حولهم العيون ليحملوا إليه أخبارهم وكان هو من وشى بهم للرشيد وأخبره أن جعفر أطلق سراح يحيى بن الحسين[4].

[1] الوليد بن طريف: بن الصلت بن طارق بن سيحان بن عمرو بن مالك الشيباني ، قتل سنة 179هـ/ 795م ،ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج6، ص32.
[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج5، ص 302-303.
[3] فياض: تاريخ البرامكة، ص114-115.
[4] الطبري: تاريخ الطبري، ج8،ص 289؛ محمود، أحمد: العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص 106-107.

5- السبب النفسي:

يقول بعض المؤرخين أن هناك سبب نفسي كان له أثراً كبيراً في نكبة البرامكة ،ويذكر البعض أنه نوع من الحسد من الرشيد تجاه ماوصل إليه حال البرامكة من عز وجاه وانحياز الناس لهم وإقبال الناس عليهم وكثرة اتباعهم ،ولذلك بعضهم يلوم الرشيد ويتهمه بالقسوة والعنف وأحيانا بالغدر ولكن يبقى هذا السبب أضعف الأسباب السابقة لأن النكبة لم تكن وليدة لحظة طيش وغضب من الرشيد على وزرائه بل كانت حدثا خطط له الرشيد قبل ستة سنوات من وقوعه حيث اتخذ الرشيد اجراءات تسحب السلطة منهم بالتدريج[1]، لذلك في سنة 187هـ / 803م أمر الرشيد خادمه مسرور بقتل جعفر ولكن مسرور طلب من الرشيد تأجيل الحكم فعاد إليه مسرور ثلاث مرات يسأله عما إذا كان متأكد من قراره ، وفي المرة الثالثة قال الرشيد له" نفيت من المهدي إن انت جئتني ولم تأتني برأسه لأرسلن إليك من يأتيني برأسك أولا وبرأسه آخرا"[2].ويلاحظ من إصرار الرشيد أن قراره بقتل جعفر لم تكن وليدة طيش وغرور بل جاء نتيجة تفكير طويل ، ثم وجه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع أولاده وأمواله ولم يفلت منهم أحد[3] وأمر الرشيد بحبس يحيى والفضل في الكوفة ومصادرة أموالهم[4]، توفي يحيى في السجن سنة 190هـ/ 806م والفضل سنة 193هـ/ 809م[5].

[1] فياض: تاريخ البرامكة، ص113.

[2] الطبري : تاريخ الطبري، ج8، ص 294-295.

[3] لم ينجو منهم سوى محمد بن خالد لتبرئته مما فعل أقاربه، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4،ص 36.

[4] الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص235.

[5] ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت 808هـ /1405م) :العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ، دار جمال، د ت ،ج5، ص 476؛ فياض: تاريخ البرامكة، ص 117؛ بينما يذكر حسن إبراهيم حسن أن قتل جعفر البرمكي كان في سنة 177هـ /793م وهو في السابعة والثلاثين من عمره، حسن: تاريخ الإسلام ،ج2، ص142.

6-أثر نكبة البرامكة على الدولة العباسية:

لم يستطع الفضل بن الربيع الذي خلف البرامكة في الوزارة أن يدير شؤون الدولة كما كان البرامكة الذين عرفوا بجدارتهم وقوتهم وحنكتهم السياسية ، وعلى الرغم من محاولته التشبه بهم إلا انه لم يمتلك القدة على اللحاق بهم[1]، وقد ندم الرشيد على قتلهم فالوشاة والحساد حملوه على قتلهم ووعدوه بأن يكونوا أفضل منهم وأن ينهضوا بالبلاد فما كان ذلك وكان كلام من دون أفعال ولم يستطيعوا اللحاق بالبرامكة والوصول إلى حنكتهم وكفاءتهم السياسية ، بالنسبة لأثر سقوط البرامكة فقد تمثل بإثارة روح التعصب العنصري وظهر ذلك في النزاع بين الأمين والمأمون الذي كان في الحقيقة نزاع بين العرب والفرس ، ويشير البعض إلى أن الرشيد بنكبته للبرامكة فقد زهرة الدولة العباسية فقد كانوا وزراء إن كتبوا أجادوا وإن قادوا الجيوش سدوا الثغور وإن عملوا أصلحوا وبذلك فقد سندا مهما لحكمه[2].

يعتقد البعض أن أمتناع الروم عن دفع الجزية كان مرتبط بنكبة البرامكة وذلك لشعورهم بضعف الخلافة العباسية والاضطرابات داخلها ، وكانت هذه الجزية قد فرضها الرشيد على نقفور سنة 187هـ/ 803م ولكن مع نكثه للعهود عاد الرشيد وأرغمه على دفع الجزية من جديد[3].

يزعم البعض أيضا أن فتنة حلت بخراسان بعد مقتل البرامكة ولكن هذا غير صحيح على الأغلب ولم تكن بسبب البرامكة بل لأن خراسان كانت تشكو من ظلم عيسى بن ماهان

[1] ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج4، ص40.
[2] يذكر ابن خلدون " كانت البرامكة من محاسن العالم ، ودولتهم من أعظم الدول، وهم كانوا نكتة محاسن الملة وعنوان دولتهما" ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج5، ص 476؛ فياض: تاريخ البرامكة، ص130-131.
[3] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص313.

الذي كان يقدم الهدايا للرشيد للتغاضي عن أفعاله ولكن لم يستطع أهل خراسان التحمل فأعلنوا ثورتهم وهنا اضطر الرشيد لعزله وتعيين والي جديد مكانه[1].

من خلال بعض ماتم ذكره يلاحظ أن الضعف لم يتسرب للدولة العباسية بعد نكبة البرامكة ولكن يجب الملاحظة أن حالة الدولة العامة قد امتد إليها شيء من الضعف خلال وزارة البرامكة فتدخلت النساء في شؤون الحكم كالخيزران ، وتباطئ الرشيد في مراقبة عماله وترك كل ذلك للبرامكة الذين أغفلوا عنه كثير من الأمور وحتى الرشيد نفسه تغاضى عن كثير من تصرفات وظلم ولاته ودليل ذلك عيسى بن ماهان والي خراسان الذي قدم الهدايا للرشيد للتغاضي عنه وعن أفعاله وظلمه لأهل خراسان، أيضا يلاحظ عدم امتلاك الحنكة السياسية الكافية من الرشيد من خلال فرض اكتفائه بفرض الجزية على البيزنطيين في وقت كان يمتلك قوة عسكرية واقتصادية كبيرة تجعله قادر على المواجهة والحصول على شروط أفضل للصلح مع البيزنطيي.

7- خاتمة:

من خلال هذا البحث المتواضع عن البرامكة وتاريخهم السياسي المختصر ونكبتهم ومحاولة ذكر أهم الأسباب يلاحظ أنه تميز وجود البرامكة السياسي بثلاث ميزات هي بقاء هذه الأسرة مدة طويلة في خدمة العباسيين والتطور السياسي الكبير الذي حققته تلك الأسرة والذي بدأ من دور عادي في الحركة العباسية إلى تولي المناصب الأساسية في الخلافة العباسية ، والعلاقات الجيدة مع الخلفاء باستثناء فترات تعرضوا فيها للمضايقات[2]، ويبدو أن العباسيين الكارهين للأمويين حاولوا البحث عن حليف قوي لهم ضد الأمويين الكارهين لبقية العناصر الغير العربية ولم يجدوا أفضل من الفرس لتحقيق

[1] الطبري: تاريخ الطبري، ج8، ص 319؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج5، ص470

[2] عباس (رندة) : تاريخ الدولة العربية(العصر العباسي الأول)، جامعة تشرين، 2017م ، ص87.

غاياتهم ومصالحهم ولذلك اعتمدوا عليهم بسبب احساس العباسيون عامة والرشيد خاصة بضرورة الاعتماد عليهم وتقريبهم وبالتالي انتهت العلاقة بين الجانبين بانتهاء المصلحة والمنفعة ، ولم يكن البرامكة أول الحلفاء الفرس الذين تخلص منهم العباسيون وذلك بسبب ازدياد خطرهم وتدخلهم في الخلافة كأبي سلمة الخلال وأبو مسلم الخراساني ، وعلى الرغم من قدرة البرامكة على ضبط شؤون الخلافة إلا أنه لا بد من الإشارة إلى استبدادهم بالأمور والقرارات السياسية ومشاركة الخليفة في حقوقه وحصولهم على الأموال الطائلة بغير وجه حق، وهنا يتم التساؤل ماذا لو يتم نكبة البرامكة؟ هل كانوا سيحاولون سحب الخلافة من الرشيد والعباسيين؟ أم كانوا سيكتفون بالأموال التي حصلوا عليها وسيحاولون دعم العنصر الفارسي الذي ينتمون إليه والذي سيشكل خطرا على الخلافة فيما بعد بطريقة مباشرة وبقوة أكبر؟

نتائج البحث:

من خلال هذا البحث المتواضع تمت محاولة تقديم لمحة موجزة عن البرامكة وأصلهم ونسبهم وكيفية وصولهم إلى الخلافة في بغداد ومدى قدرتهم في التأثير على الخلفاء ، وذكر أهم الأسباب التي ادت إلى الإطاحة بهم والقضاء على نفوذهم الذي تعاظم بشكل كبير حتى أنهم أصبحوا الرأس المدبر للأحداث في البلاد ، وربما كان ذلك ما أزعج الخلفاء ودفعهم لنكبتهم والقضاء عليهم .

المصادر والمراجع المستخدمة في البحث:

المصادر:

1- الأتليدي(محمد دياب ت 1100هـ/ 1688م): إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، دار صادر ، بيروت، 1990م.

2-ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت 630هـ / 1232م) : الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

3-الجهشياري(أبو عبدالله محمد بن عبدوس ت 331هـ/ 943م): الوزراء والكتاب ،تح: مصطفى السقا' عبدالحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي ، القاهرة، 1938م .

4-الحموي(شهاب الدين ياقوت بن عبدالله ت 623هـ/ 1226م): معجم البلدان ،دار صادر، بيروت ، 1977م.

5-الخصيبي (أبو عبدالله الحسين بن حمدا ت 334هـ/ 945م): الهداية الكبرى، دار البلاغ ، بيروت، 1993م.

6-الخطيب البغدادي(أبي بكر أحمد بن علي ت 463هـ/ 1070م): تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى 463هـ المعروف بتاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1967م.

7-ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت 808هـ /1405م) :العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ، دار جمال ،د ت.

8- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت 808هـ /1405م) : مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

9- ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد ت 681هـ/ 1282م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، دار صادر ، بيروت.

10-أبو السرور (أبو الحسن علي بن أبي عبدالله محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن الروحي د ت) : كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ، تح ، محمد زينهم محمد عزب ، بورسعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ت.
11-السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت 911هـ /1505م) : تاريخ الخلفاء ، إشراف ، محمد غسان نصوح عزقول الحسيني ، قطر ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ط2 ، 2013م .

12-ابن طباطبا (محمد بن علي الملقب ابن الطقطقي ت 709هـ/1309م): الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر ، بيروت، د ت .

13-الطبري(محمد بن جرير ت 310هـ/922م): تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، مصر، د . ت.
14-ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد ت580هـ --1185م) : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تح ، قاسم السامرائي ،القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ط1 ، 1999م .
15-ابن الفقيه(أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني): كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ/ 1884م.
16-ابن المعتز(عبدالله بن المعتصم بن هارون الرشيد ت 296هـ/ 909م): طبقات الشعراء ، تح: عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، 1956م.
17-المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين ت 346هـ / 957م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م.

قائمة المراجع:

1-بيطار(أمينة): تاريخ العصر العباسي ، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2006-2007م .

2-الثعالبي (عبد العزيز) : سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية 132هـ/750م ، تح ، حمادي الساحلي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1995م .

3-حسن (إبراهيم حسن):تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجبل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط14، 1996م .

4-الدوري(عبدالعزيز): العصر العباسي الأول -دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط3، 1997م،

5- عباس (رندة) : تاريخ الدولة العربية(العصر العباسي الأول)، جامعة تشرين، 2017م ،

6-عطوان(حسين): الدعوة العباسية -مبادئ وأساليب ،دار الجبل ، بيروت،د ت.

7-فرج(هولو جودت): البرامكة – سلبياتهم وإيجابياتهم، دار الفكر اللبناني، بيروت،ط1 ، 1990م.

8-القحطان(محمد)، طاهر الدين(محمد): هارون الرشيد الخليفة المظلوم، دار الإيمان، الإسكندرية، 2001م .

9-قدورة(زاهية): الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، 1972م .

10-محمود(حسن أحمد)، الشريف(أحمد إبراهيم): العالم الإسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، د ت .

Sources and references used in the research

: Sources:

1- Al-Atlidi (Muhammad Diab, d. 1100 AH / 1688 AD): informing people of what happened to Baramkeh with Banu al-Abbas, Dar Sader, Beirut, 1990 AD.

2- Ibn al-Atheer (Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad d. 630 AH / 1232 AD): al-Kamil fi al-Tarikh, edited by: Muhammad Yusuf al-Daqqaq, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1987 AD.

3- Al-Jahshiari (Abu Abdullah Muhammad bin Abdus, d. 331 AH / 943 AD): Ministers and Writers, t.: Mustafa Al-Sakka' Abdul Hafeez Shalabi, Mustafa Al-Babi Press, Cairo, 1938 AD.

4- Al-Hamawi (Shehab al-Din Yaqut bin Abdullah, d. 623 AH / 1226 AD): Mu'jam al-Buldan, Dar Sader, Beirut, 1977 AD.

5- Al-Khasibi (Abu Abdullah Al-Hussein bin Hamda, d. 334AH/945AD): Al-Hedaya Al-Kubra, Dar Al-Balagh, Beirut, 1993.

6- Al-Khatib Al-Baghdadi (Abu Bakr Ahmed bin Ali d. 463 AH / 1070 AD): The History of Baghdad or the City of Peace since its founding until 463 AH, known as the History of Baghdad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1967 AD.

7- Ibn Khaldun (Abd al-Rahman bin Muhammad bin Khaldun, d. 808 AH / 1405 AD): Lessons and the Diwan of the Beginner and the News in the Days of Arabs, Non-Arabs, Berbers and Their Contemporaries with the Greatest Sultan, Beirut, Dar Jamal, d.

8- Ibn Khaldun (Abd al-Rahman bin Muhammad bin Khaldun, d. 808 AH / 1405 AD): Introduction to Ibn Khaldun, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, d. T.

9-Ibn Khalkan (Shams al-Din Ahmed bin Muhammad d. 681 AH / 1282 AD: The deaths of notables and the news of the sons of time, Dar Sader, Beirut.

10- Abu al-Surour (Abu al-Hasan Ali bin Abi Abdullah Muhammad bin Abi al-Surour bin Abdul Rahman al-Rouhi d.): a book in the language of the witty In Memory of the Dates of the Caliphs, T., Muhammad Zeinhom Muhammad Azab, Port Said, Library of Religious Culture, Dr. T

. 11-Suyuti (Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr al-Suyuti, d. 911 AH / 1505 AD): The History of the Caliphs, supervision, Muhammad Ghassan Nasouh Azgoul al-Husseini, Qatar, Publications of the Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, 2nd Edition, 2013.

12- Ibn Tabataba (Muhammad bin Ali, nicknamed Ibn al-Taqtaki, d. 709 AH / 1309 AD): Honorary in Royal Literature, Dar Sader, Beirut, d.

13- Tabari (Muhammad bin Jarir d. 310 AH / 922 AD): History of the Messengers and Kings, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Maaref, Egypt, Dr. T.

14-Ibn Al-Omrani (Mohammed bin Ali bin Muhammad t. 580 AH --1185AD): The news in the history of the Caliphs, ed., Qasim Al-Samarrai , Cairo, Arab Horizons House, I 1, 1999.

15- Ibn al-Faqih (Abu Bakr Ahmed bin Muhammad al-Hamadhani): Kitab al-Buldan, Brill Press, Leiden, 1302 AH / 1884 AD.

16- Ibn al-Moataz (Abdul Allah bin Al-Mu’tasim bin Harun Al-Rashid, d. 296 AH / 909 AD): Layers of Poets, edited by: Abdul Sattar Ahmed Farraj, Dar Al Maaref, Egypt, 1956 AD.
17- Al-Masoudi (Ayo Al-Hassan Ali Bin Al-Hussein, d. 346 AH / 957 AD): Meadows of Gold and Minerals of the Core, Al-Asriya Library, Beirut, 2005 AD

List of references:

1-Abbas(Randa):History of the Arab stat ,the first Abbasid Era ,Tishreen University,2017 AD.

2- Atwan (Hussain): The Abbasid Call – Principles and Methods, Dar Al-Jabal, Beirut, d. T.

3- Bitar (Amina): History of the Abbasid Era, Damascus University Publications, Damascus, 2006-2007 AD.

4- Al-Douri (Abdul-Aziz): The first Abbasid era - a study in political, administrative and financial history, Dar Al-Tali'a for Printing and Publishing, Beirut, 3rd Edition, 1997 AD.

5- Faraj (Holo Jawdat): Al-Baramkeh - Their Negatives and Positives, Dar Al-Fikr Al-Lebanese, Beirut, 1st Edition, 1990 AD.

6- Hassan (Ibrahim Hassan): History of political, religious, cultural and social Islam, Dar Al-Jabal, Beirut, Egyptian Renaissance Library, Cairo, 14th edition, 1996 AD.

7- Kaddoura (Zahia): Populism and its social and political impact on Islamic life in the first Abbasid era, Lebanese Book House, Beirut, 1972 AD.

8- Mahmoud (Hassan Ahmed), Sharif (Ahmed Ibrahim): The Islamic World in the Abbasid Era, Arab Thought House, Cairo, 5th edition, d.

9- Al-Qahtan (Muhammad), Taher Al-Din (Muhammad): Harun Al-Rashid, the oppressed Caliph, Dar Al-Iman, Alexandria, 2001 AD.

10- Al-Thalabi (Abdul Aziz): The Fall of the Umayyad Dynasty and the Establishment of the Abbasid State 132 AH / 750 AD, Hammadi al-Sahili, Beirut, Dar al-Gharb al-Islami, 1, 1995 CE.